الممارسات اللغويّة في التواصل الحديثة بين الشباب ـ نظام اللّغة الشبابيّة ونسقها في بناء محتوى الرسالة.

أ. يوسف يحياوي
المركز الجامعي ميلة

ملخّص

Looking at our youngsters, we realize that most of them are addicted to Internet and obsessed with Social Media. Those new technologies that attract the thoughts and seduce the minds by the fresh and new events they cover. No wonder that today, we see young people in our country spending time on face-book, messenger or any other social media, which are today abundant; sending messages to each other, commenting on the events using a special spelling when writing. My present article is about this new system of writing. In this article, I aim to discover those modern ways of youngsters in writing in and out of the social medi

Therefore, will it be reasonable that we criticize forever this system of writing with the argument that it does not respect the grammar rules, or because it does not go with the right language system?. My subject essentially deals with the different ways of writing used by our young people in their modern letters, and with the positive and negative effects of these ways of writing on the language system

مقدّمة: إنّ المتأمّل في فئات الشباب في بلادنا يجد أنّ معظمها مدمنا على الأنترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي. تلك التقنات الجديدة التي أخذت تستميل الفكر وتخدِّر العقل بما تحتويه من مستجدات الأحداث وتحديثها. ولا غرو اليوم أن نرى شبابنا يقضون أوقاتهم في فضاء الفيس بوك والماسينجر، وغيرهما من وسائل التواصل الكثيرة والكثيفة؛ يتبادلون الرسائل ويعلّقون عن الأحداث بنظام خاصّ من الكتابة. هذا النظامُ الجديد من الكتابة هو موضوع مقالي؛ الّذي أسعى من خلاله إلى اكتشاف نسق الكتابة الشبابية المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي وخارجها. فهل يُعقل أنْ نظلَّ ننتقد مثلَ هذا النظام كونَه لا يحتكم على ضوابط اللّغة من بناء وإعراب؟ أو كونه لا يسير ونظام اللّغة الفصيح؟ على الباحث اليوم أن يميِز بين أنظمة اللّغة، كلّ في مجاله الخاصّ وحقله المحدّد له؛ فاللّغة الشبابيّة ليست بالضرورة أن يكون نظامها في مستوى راق، أو في نظام مستقيم اللّغة! إنّما اللّغة الشبابيّة إشارات وحروف وأرقام ورموز تلتحم فيما بينها لتشكل نصّا له دلالته ومعناه، يُتواصل به في مواقف عدّة، ولا يُشترَط الاتّصال فيها أن يكون أحاديا أو محوريا! وعليه، فما سرّ هذا النظام من اللّغة الشبابيّة؟ وكيف يمكِن أن يُسهِم إسهاما فعّالا في بناء المعرفة وتجسيد العلم؟

وكيف يُمكِن أنْ يُعتمَد هذا النظام الجديد خارج وسائل الاتّصال الاجتماعي؟ أليست الكتابة الجدارية نموذجا لهذا النظام؟ وكيف يُمكن أن يُقرَأ هذا النسق في مجتمعنا؟

هي مجموعة من التساؤلات التي سأحاول الإجابة عنها بأخذ عينة من تلك الأنساق الكتابيّة وبعض الأنظمة الفيسبوكية، أدرسها من خلال فلسفة المجتمع الجزائري وأسسه المعرفية والنفسية مركزا على النظام الكتابي وانسجامه، وكيفية تشفير الرموز فيه.

وإنّي لآمل من هذه الدراسة أن تكون لفتة سريعة إلى التحوّل الكبير الذي عرفته اللّغة الحديثة والمعاصرة - في العالم عموما والجزائر خصوصا - من تطوّر وانفتاح في الشكل والنظام اللذين يسهمان في بناء المعنى ومهارة إيصال المعرفة.

أوّل ما يجب تناوله في الموضوع هو الإلمام بجوانب العنوان وكلماته المفتاحيّة؛ لأنّه من الطبيعي توضيح معاني المفردات والمتغيرات في البحث، حتى يجد الباحث لذّة في الاطّلاع على عناصر هذا البحث بتبصُّر، كما تعينه تلك المصطلحات على استيعاب فِكَرَ الموضوع بسهولة ويسر.

ومن بين المصطلحات التي وجب عليّ تقريبها للقارئ **نظام اللغة ونسقها والرسالة ومحتواها؛** وهي مصطلحات ذات علاقة **بالعربيّة المعاصرة** والمرتبطة بفئة **الشباب** التي ما فتئت تشكّل منعرجا خطيرا في مستقبل اللغة العربيّة، والتي خالها البعض بالهادمة. فهل لغة الشباب المعاصرة - حقا – وُجدت لخدمة اللغة أو ظهورها كان لأهداف أخرى؟

1/-مفهوم النظام:

أ- النظام لغة: "نظم اللؤلؤ، ينظّمه، ونظَّمه نظاماً ونظماً ونظَّمه؛ بمعنى: ألفه وجمعه في سلك واحد فانتظم وتنظَّم. والنظام كلّ خيط نظم به لؤلؤ ونحوه، ويطلق على العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، وجمعه نظم. وتطلق أنظمه، وأناظيم، ونظم: على السيرة والهدي والعادة، ونظام الأمر: أي قوامه. وعماده. والنظام الطريقة؛ يقال ما زال على نظام واحد، والانتظام: الاتّساق"[11]؛ لا يبتعد هذا المعنى من المفهوم الاصطلاحي للكلمة فهي تعني الألفة والجمع في نسق واحد، كما يُفهَم من معنى النظام لغةً أنَّه يدل كذلك على الترتيب والتنسيق، وقد ينقل من الأمور المحسوسة إلى المعنويات؛ فيقال نظم المعاني بمعنى رتبّها وجعلها متناسقة العلاقات، متناسبة الدلالات على وفق ما يقتضيه العقل.

ب-النظام في الاصطلاح[2]: نعني بالنظام في الاصطلاح "مجموعة المبادئ، والتشريعات، والأعراف وغير ذلك من الأمور التي تقوم عليها حياة الفرد، وحياة المجتمع وحياة الدولة، وبها تنظم أمورها"، ولعل هذا التعريف على إجماله يلمّ بدلالات النظام وبجوانبه المتعددة. وقد يطلق النظام ويراد به معنى عاماً فيكون: "أحد مفاهيم العقل الأساسيّة، ويشمل الترتيب الزماني، والترتيب المكانيّ، والترتيب العدديّ، والسلاسل، والعلل، والقوانين، والغايات، والأجناس والأنواع، والأحوال الاجتماعية، والقيم الأخلاقيّة والجماعيّة". وتحت هذا المعنى العام يكون النظام في المنطق الرياضيّ، والنظام الطبيعيّ والنظام الاجتماعيّ، والنظام الأخلاقيّ. وقد يُطلق النظام ويراد به معنى خاصاً فيقال: نظام العمال ونظام المحامين، ونحوهما ويطلق على جميع هذه الأنظمة (نُظُم).

وكخلاصة لما سبق من التعريفات والمفاهيم لــ "النظام" أَصِلُ بالقول إنّ ما تتضمّنه الكلمة تنحصر في كلّ ما يجمع الأفراد ويضمن استقرارهم في مجتمع من تشريع وقانون وعرف وقيم وغيرها.

وإذا كان مفهوم النظام هو التأليف والترتيب والاجتماع وغيرها، **فما المقصود إذا بنظام اللغة؟**

2/-نظام اللغة: يرى "ابن جني" أنّ نظام اللغة يمتاز بالترابط والإحكام، وهو ما عبّر عنه دي سوسير في محاضراته؛ فإنّ " اللّغة منظومة لا قيمة لمكوناتها؛ أي لعلاقاتها اللغوية، إلاّ بالعلاقات القائمة فيما بينها، وبالتالي لا يمكن للألسنيّ اعتبار مفردات لغة ما كيانات مستقلة، بل عليه وصف العلاقات التي تربط هذه المفردات"[3] فنظام اللغة العربية مثلا يكمن في "قوة تداخل هذه اللغة وتلامحها، واتصال أجزائها وتلاحقها، وتناسب أوضاعها، وأنّها لم تقتعث اقتعاثًا ولا هيلت هيلا، وأن واضعها عني بها وأحسن جوارها، وأمد بالإصابة والأصالة فيها"[4] ، ويقول: " ولو كانت هذه اللغة حشوًا مكيلاً وحثوًا مهيلاً؛ لكثر خلافها، وتعادت أوصافها، فجاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاف إليه والمفعول به، والجزم بحروف النصب والنصب بحروف الجزم بل جاء عنهم الكلام سدى غير محصل وغفلاً من الإعراب، ولا يستغنى بإرساله وإهماله عن إقامة إعرابه، والكلف الظاهرة بالمحاماة على طرد أحكامه"[5]؛ وعليه فيجب أن يكون للغة نظام، ولا يهمّ الاختلاف إن أدّت تلك اللغة نفس الرسالة والمعنى، والاختلاف أحيانا يكون في اللغة ذاتها و"هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته غير محتفل ولا معيج[6] عليه" . وإنّما هو شيء من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف عليه. ولا مذهب للطاعن به، وأيضاً فإن أهل كل واحدة من اللغتين عدد كثير وخلق من الله عظيم، وكلّ واحد محافظ على لغته، لا يخالف شيئاً منها، ولا يوجد عنده تعاد منها؛ فهل ذلك إلا لأنهم يحتاطون ويقتاسون ولا يفرطون ولا يخلطون."[7] ويعود الفضل في اتساق النظام اللغوي في رأي ابن جني إلى القياس. يوجب أن يكون هذا النظام قائمًا على حاجة الناس إلى اللغة، وعلى استعمالهم لها؛ فاللغة ملك الجميع. كما أنّه ليس بوسع فرد أو أفراد ابتكار لغة خارج نطاق المجتمع. ويجب أن يتّصف هذا النظام بالمرونة لتلبية الحاجات المتزايدة من الألفاظ؛ ولهذه المرونة أساس يتمثّل هو الاعتباط أوّلا، ثم القياس ثانيا. "ذلك أنّ كلّ نظام لغويّ يتكوّن من أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلاليّة، ولابدّ من الكشف عن خصائص هذه الأنظمة والعلاقات التي تبنيها وتربطها فيما بينها، حتّى يتمّ معرفة طريقة اشتغال النظام اللّغوي ككلّ، وتأديته لوظيفته التواصلية التبليغية[8].

وحري بي أن أبيّن -ههنا- مسألة بالغة الأهميّة والمتعلّقة بنظام لغات البشر التي وإن اختلفت أبنيتها اشتركت، وهذا ما يفهم من كلام ابن جنّي؛ ومن مظاهر الاشتراك مثلا: الانتشار، آلية التعلم، ووظيفة اللغة، وعمَلُ أهلِ العلم في الحفاظ عليها. أمّا مظهر التلاقي بين اللّغات فـ "[9] طريق الحسّ موضع تتلاقى عليه طباع البشر، ويتحاكم إليه الأسود والأحمر".

3/- لغة الشباب المعاصرة: لعلّ أوّل ما يتبادر إلى الذهن لسماع هذا الكلام هو وجود لغة شباب أخرى قديمة. فسمّيت لغة الشباب لأنّها مرتبطة بفئة الشباب أكثر منه فئات المجتمع الأخرى، فالشباب اليوم هم الأكثر اعتمادا للكتابة المعاصرة التي تتّسم بالسرعة والخفّة في الاتّصال، والاقتصاد في الوقت؛ بحيث يمكن للحرف الواحد أن ينوب عن تركيب الجملة،

وهذه الظاهرة موجودة أساسا في اللغات اللاتينيّة المعروفة بموسوعاتها في مختصرات المصطلحات Abréviations، وهي غائبة في لغتنا العربيّة.

ومن الخطأ أن ننسب اللغة الشبابيّة –اليوم- مع اختلاف مظاهرها إلى (لولكوكس) الّذي يرى فيها عدم استجابتها للحضارة كونها بعيدة عن ثقافة المجتمع! كما يرى أنّ بناء الحضارة مرهون بوجود ثقافة المجتمع، واللغة إن لم تتمكن من التعبير عن الثقافة فلا يمكن للحضارة أن تكون ولن يحدث أيّ تطوّر.

إنّي في هذا البحث أقرّ إقرارا بوجود مجتمع متعدّد الثقافة، وكلّها تخدم هويّة الشعب الجزائريّ. وتنوّع الثقافات تؤكّده الكتابة لا محالة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد من الباحثين المشارقة أمثال (سلامة موسى) و(إبراهيم أنيس)، و ... قد حاولوا إعادة بناء نسق اللغة العربيّة من فصيحها إلى إعادة النظر في اللّهجات وتعميمها؛ لأنّ "اللغة العربيّة حضرية من حيث أصواتها"[10]. ولعلّ الفكرة أحدثت ضجّة كبيرة بين اللّغويين وأهل الاختصاص في اللّغة العربيّة في العصر الحديث بفحوى أنّ هذه النظرة تهدم أكثر ممّا تبني! هذا وقد ذهب نفس المذهب بعض الباحثين المغاربة تأثّرا باتّجاه المشارقة – المذكورة أسماؤهم أعلاه- الّذين أعادوا النظر في تقسيم الكلمة إلى (اسم و فعل وضمير وأداة)[11] ذكره من والسؤال الّذي يظلّ مطروحا كيف يمكن للعامية أن تقوم مقام الفصحى؟ ومتى؟

وأخالني صائبا في وضْعي لمجموعة من الاقتراحات، أذكر منها:
- نسق اللغة الفصحى بدأ يتلاشى في مختلف القطاعات تقريبا، فما عساك تقول – مثلا- في منهاج التعليم بوزارة التربية والتعليم التي أعادت هيكلته بسندات قلّما تجد نصّا في لغة ونسيج فصيح. ربما السبب يعود إلى ما يسمى الجيل الثاني الّذي يواكب العصر؛ وعليه، من الصعب التحكّم في اللغة العربيّة بقالبها الفصيح التي كانت عليه في القرن الرابع الهجري.

- العامية بالنسبة للجزائريين تبقى لغة للتواصل وللتخاطب.

- تغييب الفصاحة في استعمالات مختلف القطاعات في الجزائر ليس حكما مطلقا، حيث لا نجد أيّة مؤسسة وطنيّة تعتمد العامية في إدارتها، لكنّ المقصود من الفصحى هي تلك اللغة الراقيّة والأدبيّة التي لا يستعملها سوى النخبة وأهل الاختصاص.

4/- نظام اللغة ونسقها: من المعلوم أنّ أنظمة اللّغات مهما تكن أرومتها التي تنحدر منها تظلّ مختلفة الأنساق؛ وإن تقاربت في النظام كالعربية والمازيغية مثلا، يبقى النسق مختلفا في عدّة مواضع من التركيب، نحو:

*سَمِعتُ .... = جملة فعليّة في اللغة العربيّة تتألّف من: الفعل+الفاعل (الضمير المتّصل "التاء")

* .....ASLIGH =* جملة فعليّة في المازيغيّة تتألّف هي الأخرى من: الفعل+الفاعل (الضمير المتّصل GH)[12] ؛ << يبدو نظام المازيغية بنفس قالب اللغة العربيّة كونهما تقترب في الأصول، غير أنّ نظام كلّ لغة بمميزاتها في ظواهر مختلفة من أبنية الصرف كالاختلاف في بنية المثنى المذكّر والمؤنّث >>.

* ..... J'ai entendu =جملة فعليّة في اللغة الفرنسيّة تتألّف من الفاعل+ الفعل ... ؛ وشتّان بين نظام هذه اللغة ونظامي اللغتين السابقِ مثاليْهما (العربيّة والمازيغيّة).

5/- اللغات وحتمية اشتراكها: أكّد اللّغويّون القدامى أنّ تعلّم اللغات وفهمها أضحى أمرا ذا أهميّة لأن "العجم العلماء بلغة العرب، وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم، فإنّ قواهم في العربيّة تؤيّد معرفتهم بالعجمية، وتؤنسهم بها، وتزيد في تنبيههم على أحوالها؛ لاشتراك العلوم اللّغوية واشتباكها، وتراميها إلى الغاية الجامعة لمعانيها" [13]؛ وهذا ما جعل المجتمعات على مرّ العصور تتآلف فيما بينها بألسنة مختلفة تشترك في المعاني وتتّحد في المقاصد.

ورغم الاختلاف الموجود بين هذه اللغات إلاّ أنّ سياقًا جديدًا من أنظمة هذه اللّغات فرض وجوده بشكل مكثّف في وسائل تواصلنا الاجتماعيّة، وظاهِر هذا السياق جاء في العموم باللغتين العربيّة والفرنسيّة مع غياب للّغة المازيغيّة لغياب مستعمليها.

5/- مظاهر لغة الشباب المعاصرة:

1)- اللغة الفايسبوكيّة: لمواقع التواصل الاجتماعي فائدة كبيرة في تقريب لحمة التواصل بين الأفراد، إذ هي لا تقتصر على الغني دون الفقير ولا على الكبير دون الصغير، فهي بقدر ما تسهم في توسيع نطاق المعرفة تزيد من الوقت اقتصادا وفي المعلومات ثراء واستحداثا؛ "تقدّم خدمة وفائدة للناس ولجمهور القرّاء والمثقفين، فتقرّب البعيد وتشعر بتعدّد الثقافات وتنوّع الأفكار والأنماط، وتساعد على توصيل المعلومة، وشيوعها بين الناس، والترابط الاجتماعي والثقافي والفكري بينهم"[14]. وتتجلى الكتابة الفايسبوكيّة في ذلك المحتوى الموجّه أصلا للمثقفين والجامعيين منذ ظهور الموقع لأول مرّة سنة 2004 على يد العالم: مارك زوكربرج (Markzuckerberg)، ومعنى الفايسبوك المركبة من: face التي تعني الوجه، وbook التي تعني الكتاب؛ "إذ إنّ الموقع بهذا التعريف يضم دفترا إلكترونيا بعد أن كان ورقيا"[15]. فكلمة فايس بوك كان لها وجود قبل ظهور العالم الذي خلق الموقع وأسماه بذلك الاسم ممّا يحمله الدّال من شحنة إيجابيّة، فما سرّ المدلول (المحتوى)؟

لغة الفايس بوك من اللّغات التي عرفت انتقادا كبيرا ولا سيما لدى النخبة من الأساتذة والباحثين، لأنّ نظام اللغة المستعملة تكاد تكون هجينا بين عدد من اللغات (خالوط)[16]* لا يفهمها الجميع إلاّ من كان يداوم ويألف التواصل في الموقع؛ وكأنّ الفيس بوك يفتح لك دورة تكوينيّة حتى تستوعب نظام تلك اللغة. وربّما يكمن داعي هذا الخلط إلى " صعوبة الكتابة وعدم الإلمام بطرق الإدخال الجيّدة للأبجدية العربيّة ضمن لوحة المفاتيح"[17] التي تتطلّب من الكاتب استيعابا كبيرا للحرف العربي وحسن التعامل مع البيانات.

وأحيانا نكون مجبرين على استعمال الموقع والنظام اللغوي مهما كان نسقه خاصة أمام مواقف الوعظ والتعزية والصبر والمؤانسة، من الأخلاق الّتي وجب علينا احترامها والاقتداء بها، كـ"نقل أحاديث الوعظ والإرشاد، وبين الأحكام الشرعيّة المستحبّة، وتواصلٍ بين الأرحام والأقارب، بل قد يصبح واجبا قيّما إذا كان مقدّمة موصلة للواجب خاصة إذا حصر طرق الواجب بها أو دفع المحرم من خلالها، أو جعل تلك الوسائط سلاحا للأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر"[18]؛ ولسنا نبالي بنسق اللغة – ههنا – ما دامت الرسالة واضحة ومحتواها مفهوما.

2)-الرسائل القصيرة في الهواتف النقّالة: يقصد بالرسائل القصيرة ما يسمى بـ" SMS "

و"mms". أمّا عن sms فهي رسائل كتابيّة قصيرة، مساحتها ضيّقة، ولا تستعمل لكتابة النصوص الطويلة ولا لإيصال المعارف، ولا تصلح وسيلة للتعليم؛ إنّما وُضعت أساسا للتواصل بين مختلف فئات المجتمع بكلمات محدودة العدد كالطمأنة على شخص قريب إليك، كما تستعمل لإجراء المواعيد، وغيرها من عمليات التواصل اليوميّة المتّسمة بالسرعة والخفّة وربح الوقت.

وما يجدر بي الإشارة إليه في مثل هذه الرسائل أنّها لا تخرج في نسقها عن نظام اللغة المعتمد عليها، بمعنى أنّ مستعمِل الرسالة يستعين بلغة واحدة ولا يحتاج إلى حروف من لغات أخرى، ولا إلى أسلوب مستورد ولغة أعجميّة. وغالبا ما تُكتَب هذه الرسائل باللغة الفرنسيّة أكثر منه باللغة العربيّة، ولعلّ السبب يرجع بالدرجة الأولى إلى نظام الهواتف بأنواعها المختلفة التي لا تحتوي بعضها على الحرف العربي، مما يتطلب من المرسل الاستعانة برموز اللغة الأجنبيّة أو بالأحرى حروفها. والعيب في ذلك، أولا: أنّ مثل هذه الرسائل ليست هادفة ولا سيما إن كانت الرموز تعبّر عن العاميّة التي من الصعب أن تستوفي الهدف من الرسالة مهما بلغ المرسل إليه درجة الفهم والاستيعاب.

ثانيا: أنّ الرسالة تقتضي مراعاة مستوى المتلقي (المرسل إليه)، فلو جاءت الرسالة على نظام محكم بلغة من اللغات، نحو: **Sujet + verbe + complément**

Je cherche un boulot = **(أبحث عن عمل)** ؛ نظام لغة الرسائل القصيرة لا بد له أن ينسجم في سياق صحيح، حتى تُفهمَ الرسالة. هذا ما دفعني كتمترّس للتعليم أُعاني مشكلَ تشفير الرسائل التي أستقبلها في مختلف المناسبات خلال الأعمال البيداغوجيّة.

وهذه نماذج لبعض الرسائل القصيرة التي سأحاول تحديد سياقها ونسقها التركيبيّ:

- **أنا بخير** = **J ss b1**

فإذا أردت أيّها القارئ فكّ الجملة في اللّغة العربيّة تجد عناصرها مضبوطة؛ وحروفُها متراصّة في أبنية محدّدة المعنى، في وظائفها التركيبيّة الصحيحة نحويّا والسليمة لغويّا. ومهما اجتهدت في محاولة للتقليص من عدد الحروف فلا تستطيع إسقاط أيّ حرف من كلماتها (أنا بخير)، وكأنّ النسق العربيّ معجزٌ. فلا يمكن للحرف الواحد (اختصارا) أن يقوم مقام الكلمة. والعكس نراه في اللّغات الأجنبيّة التي أثّرت على اللّغة العربيّة لا من ناحية الترجمة والمصطلح، إنّما على الحرف نفسه، حيث فرض الحرف اللاّتيني نفسه على اللغة العربيّة ليأخذ مكان الحروف العربيّة بتأثير سلبيّ.

والملاحظ في تركيب الجملة بالفرنسيّة أنّ كلماتها مقلّصة ومختصرة، مع ذلك يفهمها الصغير والكبير في بلدنا الجزائر، ولعلّ السبب يعود إلى النظام (التركيب) السليم لتلك اللّغة الحيّة[19] التي حافظت على نسقها. وهذه معانيها:

J = je ;
ss = suis (être au présent) ;
b1 = bien (selon le son).

*نظام اللغة الفرنسية: الفاعل + الفعل + المفعول.

وتأمّل هذا **المثال**:

- Makanch qraya (qui veut dire: Pas d'études)

= لا توجد الدراسة

فمثل هذا النظام لا يخدم النسق الفصيح للعربيّة، إنّما هو سياق لعامية من العاميات الجزائريّة التي لا يفهمها الجميع. في حين نجد سياقا آخر سبق لي وأن نوّهت إليه، والمتمثّل في المختصرات التي تتطلب من الشّاب ناصيّة من العلم والثقافة اللغويّة ليعبّر بها في شتى الوسائط الإلكترونيّة، وهو قولك:

- Ps d'étd = فهي في نظامها صحيحة وسليمة، وهي تبني اللغة وتنقّص من معاني أبنيتها

3)-الكتابة الحائطيّة: هي نوع من الكتابة الحديثة، ذات أصول قديمة تمتدّ إلى الإغريق، حيث كانت تسمى ب -(الغرافيتي) Graffiti[20] ، التي لا تتقيّد – حديثا- في تركيبها إلى نظام محدّد من أنساق اللغة المعروفة سواء أتعلّق الأمر باللّغة العربيّة أم باللغة الفرنسيّة وحتّى المازيغيّة والإنجليزيّة.

وهناك من يسمّيها الكتابة الجداريّة، لأنّها مرصودة على الجدران، تهدف إلى حمل رسالة وفق رموز مشفّرة أو في شكل ألغاز تستثير القارئ وتجعله في وضعيات حرجة. والكتابة الحائطيّة منتشرة في مجتمعاتنا إمّا بشكل فوضويّ، وإمّا بشكل تنظيميّ، وهذا الأخير نجده على مستوى المؤسسات العموميّة والتعليميّة التي تهدف من خلالها إلى تعزيز المعارف وتقريبها من المتعلّمين بطريقة غير مباشرة.

أ- أشكال الكتابة الحائطيّة ونسقها التركيبيّ: إنّه من الصعب أن ندقّق في القضيّة كونَ تركيب هذه الكتابة يختلف من مؤسّسة لأخرى، ومن مجتمع لآخر. وهذه الكتابة لا يوصف بها الشباب فحسب، ففيها أصناف عديدة كلّ صنف ومستواه؛ ألا ترى –مثلا- أنّ رياضة كرة القدم في بلادنا أكبر حدث يشغل المواطن؟! فإنّك تُجيب بـ "بلى"، وأثر ذلك يتجلّى في المكتوبات والرموز المختلفة الأشكال والأحجام على جدران الشوارع، ولا تكاد مدينة تخلو منها. وأهميتها تتلخّص فيما يلي:

- هي وسيلة للإعلام والإبلاغ.

- تضع بعض الأفراد في الوضعية المشكلة الأمّ[21]، ممّا يتيح لهم الفرصة لتفجير طاقاتهم الإبداعيّة والتعبيريّة.

- تساعد المتعلّم في الطور الابتدائي على تعزيز معارفه وتقويتها، كما نوفّر له الجوّ للإبداع أمام الزملاء (كاستظهار الأحاديث المكتوبة والآيات، وكذلك الأمثال والحكم) التي يتّخذ منها العبر.

أمّا عن نظام الكتابة الجداريّة فتختلف باختلاف المكان والسياق؛ ففي المجال التعليمي تلعب الرسومات والألوان المعبّرة دورا فعّالا في تربية المتعلّم على القيم ناهيك عن المعارف. ثمّ إنّ وقع الشكل في ذهن المتعلّم ليس كوقع الكتابة الصغيرة الّتي ألفها في الكتاب. ومن طبيعة الكتابة الحائطية في الحرم المدرسي أنّها تتّسم ببساطة التركيب وعمق الفكرة؛ فلْنتأملْ مثلا هذا المثال من الحكم:

- << **مَنْ أَرادَ الْعُلاَ سَهِرَ اللّيَالِيَ** >> هذه العبارة عندما تعلق في مخيّلة المتعلّم، فإنّه يدرك – لا محاله – أنّ الهدف من العبارة أقوى ممّا دوال أبنية الجملة؛ فثمّة مجموعة من الفكر يعبّر عنها المتعلّم من خلال الكلمات الآتيّة:

***أراد** = هذا الفعل يؤثّر في المتعلّم فيثير في نفسيته الرغبة والدّافعيّة، تلك هي الإرادة بها نتفاعل ونتحرك.

***العلا** = بلوغ العلا لا نقول إنّها مستحيلة، لأنّ المتعلّم ينظر إليها كأهداف يمكن تحقيقها بالاجتهاد والعمل والمثابرة، وهذه الأهداف يضعها المتعلّم صوب عينيه، ولا يهدأ بالُه حتى يبلغها بشتى الوسائل

***سهر** = هي تلك الأفعال التي ينبغي أن تتوفّر في المتعلّم لبلوغه الأهداف، ومنها (السهر)، حيث ينظر المتعلّم إلى المفردة نظرة تلازم أي مقرونة بالليل الّذي يقوم بوصفه بصور ذات أبعاد مخيفة. ليكتشف في الأخير أنّ اللّيل وقت للنوم والراحة، لكنّ "السّهر" لا يكون إلاّ لوجود غايات.

والممعِن النظر في الجملة يجدها مركّبة من جملتين:

الجملة الأولى: من أراد العلا.

الجملة الثانية: سهر الليالي.

وجاءت هاتان الجملتان

في قالبِ إيجازٍ، في نفس النظام ونفس الأبنية؛ فعلان متعديّان + مفعولان، ليدلّ ذلك على معان كثيرة يتصوّرها المتعلّم في خلفيات ثقافيّة، ويبني وفقها منهجا، وسلوكا يسير عليهما من أجل تحقيق مطامحه. ومن الطبيعيّ أن تقوم اليوم عدّة دراسات سيميائيّة تبحث في العلامات معتمدة على الأنظمة الداخليّة للمجتمعات، لــ "أنّ قوانين التواصل إنّما هي قوانين الثقافة"[22]؛

فالنصّ التواصليّ في سياقه المعرفي مرتبط بالقارئ، الّذي يعتبر هو الآخر عند علماء السيميولوجيا المنتج الثاني للنصّ وفق قوانين ثقافيّة.

خاتمة: للكتابة أثر بالغ لدى الأمم، بها يُحفَظُ تراثها، وبها تحدّد هويّة الفرد ومجتمعه. فبالتعبير يضمن الفرد بقاءه واستقراره. غير أنّ الكتابة لم تستقر على حالها، فبعد أن كانت رموزا تواصليّة انتقلت إلى كونها لغة الأدب والعلم، لتأخذ اليوم شكلا جديدا من نظامها الّي اصطلح عليها اللغة المعاصرة أو الكتابة المعاصرة.

ومما لا شكّ فيه أنّ الكتابة الحديثة هي نتاج ثقافيّ يكشف عن حضارة الأمم وتطوّرها. كما أنّ الكتابة المعاصرة ظاهرة فرضتها التكنولوجيا والعولمة التي نشهد لها في وسائط الاتّصال، حتّى جعلت من هذا الكون والعلم قرية صغيرة. هذا وقد أسهمت لغة الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي في:

- خلق حراك اجتماعي يشمل مختلف مناحي حياة الأفراد والمجتمعات.
- خلق فضاء لتدفّق المعلومات.
- التعليق على الأحداث بأشكال مختلفة من أنساق اللغة.
- وقد اتخذ هذا التحوّل تجليات مختلفة أبرزها الواقع الافتراضي الّذي أدى إلى تغيير كبير في أساليب التعبير وأدوات التواصل ما جعل الجميع يوقن بأنّ هناك عالما جديدا آخذا في التشكل أساسه الحاسبات الذكية والبرامج المعلوماتية وشبكات الاتّصال الضخمة.

- تسهيل النشر من خلال الكتابة القصيرة أو الطويلة، وتوسيع نطاق التواصل.

- إسهام الكتابة الجداريّة بدور فعّال في التحوّلات التي يشهدها المجتمع الجزائريّ المعاصر.

- نشر قيم التنوير التي تتوخاها الأعمال الفكريّة والإبداعيّة من خلال وسائط الاتّصال الإلكترونيّة ولا سيما المنشورة في صفحاتهم.

- اعتبار وسائل التواصل الاجتماعيّ نافذة يطل منها الإنتاج الفكري والإبداعي على جمهور المتلقين الذين يتفاعلون مع هذه المادة الفكرية والأدبية.

- خلق نظام جديد من اللغة خاصّ بالشباب الجزائريّين، والّذي امتدّ إلى البلدان العربيّة في نسق هجيني بين اللغتين العربيّة والفرنسيّة والخط لاتيني.

- عدم الاهتمام باللّغة الأمازيغيّة لدى الشباب ظاهرٌ وجليّ في وسائل التواصل الاجتماعيّ، فلا الخطّ معتمدٌ، ولا نظامُها مذكور.

- اهتمام الشباب بالخطّ اللاّتيني أراه عقدة لا تؤثّر في نظام اللّغة العربيّة، لكنّها قد تمسّ بالهويّة الوطنيّة.

- تيسير سبيل النشر للنخبة والمؤلّفين لما تتيحه لهم المواقع الإلكترونيّة من الوسائل والإمكانات اللاّزمة.

- نظام النّص الرقميّ يدخل في تكوينه كلّ من اللغة والصوت والصورة واللون، والضوء والحركة.

- صبغة النصوص المعاصرة من حيث جمالياتها تلجأ إلى عناصر سيميائية مختلفة مثل الموسيقى واللوحة والإلقاء الصوتي إلى جانب العلامات اللّغوية.

- أنّ لغة الشباب المعاصرة تدشن تحولا جذريا في مفهوم الكتابة وأشكال التلقي. وهي لا تتعارض مع الكتابة الجادة.

- وجوب مراعاة محتوى الرسالة لمستوى المتلقي، وأن تكون عمليّة الاتّصال محوريّة دورانيّة.

- لغة الفيس بوك أو الماسينجر أكثر الوسائط اعتمادا لدى فئة الشباب، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى مجانية الموقع الّذي يتيح للجميع الفرصة للاستكشاف والتعرّ على المستجدات.

- كما أنّ نفور الشباب من نظام اللغة العربية الفصيحة قد يرجع إلى العجز في استيعاب أسلوب العربيّة الرصين.

الإحالات والهوامش:

1 - يُنظَرُ: ابن منظور، لسان العرب. مج: 6، دار المعارف. مادة: (ن ظ م).
2 - الكردي منال، مقدمة في نظم المعلومات الإداريّة: النظرية، الأدوات والتطبيقات. الإسكندرية: 2002، الدار الجامعيّة، ص: 49.
3 - يُنظَرُ: دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامة، تر: صالح قرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة: 1985. الدار العربية للكتاب، ص: 149.
4 - ابن جني، الخصائص. ج: 1، ص: 312.
5 - المرجع السابق، ص: 244.
6 - ابن منظور، لسان العرب. مج 2، مادة: (عيج)، 335.
7 - ابن جني، الخصائص. ص: 245.
8 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: 1990، ص.29
9 - ابن جني، الخصائص. ج1، ص: 90.
10 - يُنظَر: إبراهيم أنيس، في الترتيب المعجمي، ص: 7-.
11 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة والأدب، ص: 196.

12 * تعدّدت الاتّجاهات وتباينت حول طبيعة الخطّ المناسب للحرف المازيغي، حيث اعتمدت في المثال المذكور أعلاه الخط اللاّتينيّ الذي وضعه الباحث اللّساني في المازيغيّة والأديب (مولود معمري).

13 - ابن جني، الخصائص، ص: 243.

14 - الصعوبات التي تواجهها اللغة العربيّة في عصر التواصل الاجتماعيّ-الفيس بوك أنموذجا، بحث مقدّم في مؤتمر تدريس اللغة العربيّة في مؤسسات التعليم العالي: الواقع والمأمول، جامعة زايد دبي. 09 مارس 2016، ص: 10.

15 - ماهر عرفات، الأثر الاجتماعي والتعليمي من استخدام الشبكات الاجتماعيّة "الفايسبوك" على طلبة كلية تكنولوجيا المعلومات في جامعة النجاح الوطنيّة. أفريل: 2011، ص:06.

16 - كلمة ذو دلالة قويّة توحي بالمبالغة في الخلط.

17 - إبراهيم رجب بخيث، كتابة اللغة العربيّة بحروف لاتينيّة، ص: 82.

18 - ميثم القرجي، مواقع التواصل الاجتماعيّ، نظرة فقهية أخلاقية تربوية. ط1. بيروت لبنان: 2014، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ص: 19.

19 - أعني باللّغة الحيّة، اللغة العربيّة التي حافظت على نسقها ونظامها اللّغويّ الّذي كانت عليه العربيّة في القرون الأولى، رغم التغييرات التي مسّت اللّفظ والكلمة في نظام جديد فرضه العصر والعولمة من خلال وسائل التواصل الاجتماعيّ. تلك الوسائط التي أثّرت في الخط العربي دون أن تخلخل تركيب اللغة نظاما وصوتا.

20 - بوعلام باي، فعاليّة الغرافيتيا النضاليّة في التعبئة الهوياتيّة خلال عهد الاستعمار-الجزائر أنموذجا. مجلّة الإنسان والمجتمع، العدد: 08. جامعة تلمسان، جوان: 2014، ص: 24.

21 - الوضعيّة المشكلة الأم: أو كما تسمى Problème mère ؛ هي من بين المواقف التعليمية الحديثة في ظل التدريس بالمقاربة والكفاءات، وهي وضعية جديدة في إصلاحات الجيل الثاني، أين يُضع المتعلّم في موقف حرج؛ إمّا أن يستثيره المعلم بنصّ لم يسمع مثله قطّ وهذا فيما يسمى حديثا بميدان (فهم المنطوق)، وإمّا بمعادلة رياضيّة أو غيرها من المشكلات حسب طبيعة المادة والنشاط.

22 - يُنظر: حنون مبارك، دروس في السيميائيات. ط1. المغرب: 1987، دار توبقال للنشر، ص: 88-**89.**